لم اجدها

فتشتُ عنها فلم أجدها ، وهي موجودة . ولا ازالُ أَنشدها ، فهل أجدُ تلك الضالة المنشودة ؟

بين رفيقات طفولتي ، وعشيرات شقيقتي بحثتُ ، فلم أجدْ ضالتي ؛

جبتُ المدُن والاقطار، وخبرتُ الناس ودرستُ الاميال والاخلاق وأنا أبحثُ عنهـا . طرقتُ الاندية والمجتمعات ، وعاشرتُ المتمدنات المتعلمات باحثاً منقباً عمن أُريد . فلم أجدها

قصدتُ القرى والجبال . فاختلطتُ بالقرويات الساذجات، ودرست معيشة الفلاحين في مزارعهم، فتوهمتُ اني وجدتها ، واذا من توهمتُ انها هي ، هي غير من اطلب ، فرجعتُ ولم أجدها

درستُ تاريخ الأُمم الغابرة والعصور السالفة ، ونفضتُ غبار النسيان عن تلك الوجوه الماضية علّي اجد بينها تلك التي أرجو . فلم أجدها

لكلّ شاعرٍ عروسُ شعرٍ يتغزّل بحسنها ، ولكلّ كاتبٍ خريدةُ روايةٍ يشدو بذكرها . فتشتُ بين المرائس والخرائد . فلم اجدها

* * *

أُسألُ : أين هي ؟ فلا أعلم . . . ومن هي ؟ فلا أدري . . . وكيف هي ؟ فلا أعرف . . . لساني قاصرٌ عن وصفها ، وقلمي عاجزٌ عن تصويرها

لا يعرفها غيري ليهديني اليها ، أو يهديها اليّ . لاني أنا أيضاً اجهلها وتكادُ نفسي أيضاً تجهلها ، فأفتش عنها ولا أجدها

أُغمض عينيّ عما أرى ، واصمُّ اذنيّ عما أسمع ، فأضيع في عالم الخيال فيتراءى لناظري شخصها بين خيالات الاوهام ، وينساب الى مسمعي صوتها بين حفيف الاحلام . فأتوهم اني عرفتها أو عرفتُ بعض الشيء عنها . فاذا ما عدتُ الى عالم الحقيقة أراني عاجزاً عن إعادة بعض ما رأيت وسمعت أو ما توهمت اني راءٍ وسامع

لم أجدها حتى الآن ، ولكني لا ازالُ أفتش عنها ، لانها موجودة ولن ازال انشدها حتى ألتقي بتلك الضالة المنشودة

* * *

البلبلُ يجدُ الغصن الذي يغرّد عليهِ في ليالي القمر ، والفراشة تجد الزهرة التي تتغذى منها عند السحر ، والزهرة تجد قطرة الندى التي تحييها ، والغوّاص يجدُ الدرّة التي يسعى اليها ، والشاعر يجد القصيدة التي يحوم خاطره حواليها . . .

فهل أجدُ من تكون غصن شبابي لأزهر ، وزهرة ربيعي لأثمر ، وندى ايامي لأحيا ، ودرة عيشتي لأتحلّى ، وقصيدة ايامي لأتغنى . . ؟

فتشتُ عنها والى الآن لم اجدها . ولقد تكون فتشتْ عني فلم تجدني . ولعلها هناك وأنا ابحث هنا ، وقد تكون هنا وأنا افتش هناك فهل تلتقي نفسانا ؟ ومتى تلتقيان . . ؟

سأبحثُ عنها حتى أجدها ، لانها موجودة . ولن أزال أنشدها حتى التقي بها تلك الضالة المنشودة